دور التداولية في الدرس اللغوي

د.أحمد شكيب بكري
ط.بشير حرشاية
المركز الجامعي صالحي أحمد –النعامة–
اللغة والأدب العربي ، دراسة للمفردات العربية الفصحى المتداولة في الغرب الجزائري.

Summary
The concept of deliberation is very ambiguous. It is the focus of attention of regions, Semites, philosophers, sociologists, psychologists, linguists, linguists, linguists and linguists ... thus, at the level of analysis, we can not classify them at any level. There are many perceptions of the forms of evolution, perhaps the most prominent of what Françoise Armenko and Hanson and Jean Sarfoni, and through this article will show us the role of deliberation in the language lesson starting from the problematic issue of the position of deliberative research in the language lesson?
.**Keywords:** Pragmatics, linguistic, context, meaning. References

Résumé
Le concept de délibération est très ambigu: il attire l'attention des régions, des sémites, des philosophes, des sociologues, des psychologues, des linguistes, des linguistes, des linguistes et des linguistes ... ainsi, au niveau de l'analyse, nous ne pouvons les classer à aucun niveau. Il existe de nombreuses perceptions des formes d'évolution, peut-être la plus importante de ce que Françoise Armenko, Hanson et Jean Sarfoni, et à travers cet article nous montrera le rôle de la délibération dans la leçon de langue à partir de la problématique du poste de recherche délibérative dans la leçon de langue?
Mots-clés: dialectique, linguistique, contexte, signification, références.

الملخص
يكتنف مفهوم التداولية كثيرا من الغموض، فهي محط اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنفها في أي من المستويات، ولا تدرس جانبا محددا في اللغة بل تستوعبها جميعا. توجد تصورات كثيرة لأشكال تطورها، ولعل من أبرزها ما وضعه كل من فرانسواز أرمينكو وهانسون وجان سرفوني، ومن خلال هذا المقال سوف يتبين لنا دور التداولية في الدرس اللغوي منطلقين من طرح إشكالية ما مكانة البحث التداولي في الدرس اللغوي؟
الكلمات المفتاحية : التداولية ، اللسانيات، السياق ، المعنى ، الإشارات .

1/تمهيد

لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية، وتهتم أيضاً بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار...إلخ[1] ، وفي ضوء هذا التصور تحاول المقاربة التداولية الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المهمة مثل:

ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ من يتكلم إذن؟ وإلى من يُتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة، أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد شيء آخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصدٍ ما[2]؟

2/التداولية(Pragmatics):

ترتبط التداولية بكثير من العلوم: كالفلسفة[3] واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس...إلخ. ولكن سمتها الغالبة تتجه إلى التوجه العملي، ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، إلى جانب التداولية. وأفضل هذه الترجمات (التداولية) إذ هي من تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة[4].

ويعود مصطلح التداولية[5](Pragmatics) إلى الفيلسوف الأمريكي موريس Morris الذي استخدمه سنة 1938م دالا على فرع من فروع علم العلامات Semiotics غير أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستن Austin،وسيرل Searle، وجرايسGrice)[6].

1.2 مفهوم التداولية:

اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات، حسب اهتمام الباحث نفسه فقد يكون اهتمام الباحث اهتمام بالمعنى في سياقه التواصلي فيعرفها بأنها:

. دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله[7].

. أو دراسة استعمال اللغة[5] في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية[8].

كما قد تعرف من وجهة نظر المرسل بأنها: كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه[9].

إذن فالتداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم[10]. فمثلاً حين يقول شخص: أنا عطشان (فقد يعني أريد كوب ماء) وليس من الضروري أن يكون إخباراً بأنه عطشان.

فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته[11].

ومن هنا فإن أشمل تعريف للتداولية هو:دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما[12].

ونتيجة لذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة[13]. "ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب"[14]

فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التداولية[15].

2.2 فروع التداولية:

لسعة الدراسات التداولية في اللغة، فقد تفرعت عنها نظريات متعددة، اهتم كل منها بجانب تداولي معين، وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، فهناك:

1. التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
2. التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.
3. التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.
4. التداولية العامة: وهي التي تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً[16].

2.3 جوانب الدراسة التداولية:

عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى أربعة مسارات، يتضمن كلاً منها عدداً من الدراسات، وهذه المسارات هي : الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية[17].

أولاً . الإشاريات(Deictics):

إن الإشاريات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات[18]. إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات[19]"الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[20] فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة[21].

فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب. ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات وسنوضح من خلالها المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف وهي: الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية، الإشاريات الاجتماعية، الإشاريات الخطابية.

ويرى بعض الباحثين أن (ال) التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفرق بينهما أن اسم الإشارة يدل عليها بالدلالة على القرب والبعد، أما(ال) التي للتعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد[22].

1. الإشاريات الشخصية[23]:

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب،والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه[24].

مثل:أنا نعسان. فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا).

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون. فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع ، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة[25].

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر ، إذا تعدد الأشخاص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل:

دخل خالد القاعة فرأى بكراً جالساً ورآه بكر فابتسم له وصافحهُ.

فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر[26].

2. الإشاريات الزمانية[27]:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ[28].

فإذا وجدنا إعلاناً: ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم. فإننا إذا لم نعلم زمن الخطاب(الإعلان) فإننا لا نعرف هل التخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت التخفيضات، كما إننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماماً.

وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان ، كأن يقال ضرب زيد عمراً يوم الخميس،فالضرب يستغرق جزء من اليوم. وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا بنات اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان[29].

3. الإشاريات المكانية:

وهي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، إمام، وخلف[30].

وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه[31]. فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهل يعني : في هذا المكتب ، أو في هذه المؤسسة، أوفي هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة...فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه[32] .

وتتعقد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، مثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني.

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل[33].

4. إشارات الخطاب:

هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل:ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثَمّ...وهذه الإشاريات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق[34]. وقد تستعار إشاريات الزمان والمكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة[35].

5. الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً

من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة..أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد[36]..

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية[37]. تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسيا.

ثانياً . الافتراض السابق(Presupposition):

يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال شخص لآخر:أغلق النافذة. فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وكل هذا موصول بسياق الحال، وعلاقة ا لمتكلم بالمخاطب[38].

ويقرر فينيمان بأن لأي خطاب" رصيداً من الافتراضات المسبقة(يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته" فلدى كل طرف من أطراف الخطاب[39]، رصيد من الافتراضات المسبقة، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب. وضمن رصيد الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية[40].

والمعلومة المسلمة هي تلك المعلومة التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها، إما بالإحالة إلى ما سبق من النص أو بالعودة إلى المقام[41].

وتشير أداة التعريف إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة، بينما تؤدي أداة التنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة، أي إلى وحدات لغوية، لم يوضحها المتكلم بعد، مثل حين نقول:

. كان في قديم الزمان فتاة..(إشارة إلى معلومة لاحقة يتوقع السامع أن يخبر بها)

. كانت الفتاة جميلة ومتواضعة.(إشارة إلى معلومة سابقة)

لذلك فإن المتلقي يبني فهمه لمعنى السياق على ترتيب معين[42].

فالتعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السامع بالأمر. والتنكير على العكس من ذلك فهي أمور لا يعرف السامع عنها شيئاً، أو لا يعرف أي أمر منها يراد بين أمور عديدة... وقد لا تكون معروفة عند المتكلم أيضاً[43].

وقد التفت النحاة إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي. وجعلوا تعريف الشيء أو تنكيره محكوماً بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة[44] . فالمنكر لا يحيل إلا على معلومات معجمية أو لغوية مخزونة في ذهن السامع. أما المعرف فإنه يحيل أحياناً على المعلومات المعجمية واللغوية وأحياناً الاصطلاحية، وأحياناً على معلومات تخص أفراد معينين للسامع سابق معرفة بهم[45]، ويميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة:

1. المنطقي أو الدلالي.
2. التداولي.

فبالنسبة للافتراض المنطقي فإنه يستلزم أن تكون الجملتين صحيحتين(الجملة المحكية والجملة المفترضة) مثل:

يعرف محمد أن الأرض كوكب شمسي. فالافتراض المسبق: أن الأرض كوكب شمسي.فإذا كانت الجملة الأولى صحيحة، فإن الجملة المفترضة صحيحة.

أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصحة أو عدمها[46].

فالافتراض المسبق يبقى غير متأثر بالنفي، فإذا قال شخص:

سيارتي جديدة ثم قال سيارتي ليست جديدة.

فعلى الرغم من تناقض القولين إلا أن الافتراض المسبق وهو أن له سيارة لا يزال قائماً في الحالين. ومن هنا فإن كافة الافتراضات المسبقة هي دائماً صحيحة[47].

ثالثاً . الاستلزام الحواري Conversational implicature:

لقد عمد جرايس . أحد المنظرين للتداولية . إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام، ورأى جرايس أن الاستلزام نوعان[48]:

1. استلزام عرفي.
2. استلزام حواري.

فالاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلف بها السياقات وتغيرت التراكيب. من ذلك(لكن) فهذا يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع.مثل:

زيد غني لكنه بخيل.

أما الاستلزام الحواري: فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها[49].

فحين يقال:كم الساعة؟

فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً للتأخر..

فكان جرايس مشغولاً في كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟

لذلك وضع جرايس مفهوم (مبدأ التعاون) بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام. يقول:" ليكن إسهامك في الحوار[50] بالقدر الذي يتطلبه الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار" وقد تفرع عن هذا المبدأ المبادئ التالية:

1. مبدأ الكم: يجب أن يكون الحوار مناسب دون زيادة أو نقصان.
2. مبدأ الكيف: لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل عليه.
3. مبدأ المناسبة: مناسبة الكلام للموضوع.
4. مبدأ الطريقة: أي الوضوح والتحديد مع تجنب الغموض، واللبس، والقيام بالإيجاز وترتيب الكلام[51].

وكان يرمي بأن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم.

فحين يسأل زوج زوجته:أين مفاتيح السيارة؟

فتجيب: على المائدة.

ففي هذا الحوار تتمثل مبادئ التعاون التي قررها جرايس، فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة(الطريقة)، وكانت صادقة(الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون تزّيد(الكم)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها(المناسبة)، لذلك لم يتولد عن قولها أي استلزام، لأنها قالت ما تقصد[52].

وخرق مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام. فمثلاً حين تقول أم لولدها: أ تشعر بالنعاس ؟ فيجيب: لا أرغب في تنظيف أسناني[53]. فلا نجد الطفل قد أجاب إجابة مناسبة على السؤال. ولكن ما الذي جعل الطفل يخرق هذا المبدأ، ويجيب إجابة

غير مناسبة! و لكن وفق مبدأ التعاون فنجد الإجابة تستلزم رفض الطفل للنوم، لعدم رغبته في تنظيف أسنانه، وللاستلزام الحواري عند جرايس خواص تميزه:

1. الاستلزام ممكن إلغاؤه، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام[54] أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها فقد ألغت الاستلزام[55].
2. الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، أي إن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

فإذا قالت أخت لأختها:لا أريدك أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو.

فتقول الأخرى: أنا أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائما[56].

3. الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة[57] في سياقات مختلفة. فإذا قال شخص: كم يد لي، فقد يكون سؤالا حين يوجه لطفل مثلاً، وقد يكون هذا السؤال يستلزم استنكار لما يوجه له من عمل. فيختلف الاستلزام حسب السياق الوارد.
4. الاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فإذا قيل مثلاً: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلي خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية، والمفروض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً، فماذا يريد أن يقول؟ لابد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي ، فلجأ لهذا التعبير[58]. وهذه العمليات الاستدلالية من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب من الأمور التي تركز عليها التداولية.

رابعاً . الأفعال الكلامية Speech acts :

هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، بجملة نعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل[59]. فليس التلفظ بالخطاب فعلاً تصويتياً فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلاً بمجرد التلفظ به[60]،وذلك مثل: نلتمس الموافقة. شكراً. أنت طالق.

ويمكن تقسيم هذه الأفعال إلى:

1. أفعال إخبارية: تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة.
2. أفعال أدائية: ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية،و الاعتذار، والشكر، والمواساة، والنصح، والوعد، والتحدي، والإذن..إلخ[61].

*وقد وجد أوستن . أحد فلاسفة اللغة المنظرين للتداولية . أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر:

1. الفعل اللفظي: يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.
2. الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.(كالتحذير من عمل شيء، أو رجاء عمل شيء...)

3. الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع(أن يسعد، أن يغضب..)[62].

فعلى سبيل المثال: حين تقول أم لطفلها:(الكلب يعض)

فإنها تنجز فعلاً قولياً لفظياً منطوقاً، وحين تقول الأم هذه الجملة فإنها تنطق تحذيراً في ا لوقت نفسه أي تنجز فعلاً إنجازياً، وحين يختار الطفل طريقاً آخر فإن ذلك هو النتيجة والأثر للمنطوق نفسه[63].

*وقد قدم أوستن تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى:

1. الحكمية: وتقوم على الإعلان عن حكم تأسس على البداهة مثل: إخلاء الذمة،واعتباره كالوعد .
2. التمرسية: تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف...إلخ.
3. التكليف: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وأقسم...إلخ.
4. العرضية: تستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أنكر، أجاب، أكد...إلخ.
5. السلوكيات: يتعلق الأمر بردود فعل اتجاه سلوك الآخر، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة...إلخ[64].

وعلى الرغم مما قدمه أوستن إلا إنه لم يكن كافيا، فجاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية، فقد لمس بعض الاضطراب في تصنيف أوستن، فارتكزت إعادته للتصانيف على عدد من المعايير هي:

- نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأن للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم[65].
- الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي[66] قدم سيرل تصنيفاً بديلاً لما قدمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلامية، على ثلاثة أسس منهجية هي:
  1. الغرض الإنجازي.
  2. اتجاه المطابقة.
  3. شرط الإخلاص[67].

وقد جعلها خمسة أصناف:

*الاعلانيات (التوكيدات): تلزم المتكلم بصحة محتوى إخباري معين(الإدعاء، الإعلان...

*التوجيهات (الإرشادية): تحدث تأثير ما عبر فعل المستمع(كالأمر، والطلب، أو التوسل..

*الإلزاميات(التعهديات): تلزم المتكلم بفعل مستقبلي(كالوعد، العرض،أو القسم..

*التعبيرات: تعبر عن حالة نفسية معينة(كالشكر، والاعتذار، والتهنئة..

*الإخباريات: يؤدي تنفيذها إلى تناظر بين المحتوى الإخباري والواقع(كتسمية المولود، أو تسمية السفينة[68]...

- استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى ، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم[69]. ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد. وهذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية.

مثل ذلك إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تناولني الملح؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام(هل). لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح[70].

وقد لاحظ سيرل أن أهم البواعث للأفعال الإنجازية غير المباشرة هو التأدب في الحديث. كما أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وأن السامع يصل إلى هذا المراد من خلال مبدأ التعاون الحواري عند جرايس، وإستراتيجية الاستنتاج عند سيرل[71].

- ويرى سيرل بأن هناك أمور تحكم الأفعال الإنجازية:

1. اختلاف الترتيب بين الكلمات والأشياء، ويتعلق الأمر بالنسبة للآخرين بالحصول على مطابقة العالم للكلمات.فلتكن الكلمات الأولى مثلاً إذن توكيدات، والثانية وعوداً أو آوامر..
2. اختلافات بالنسبة لغاية الفعل.
3. اختلافات تمس الحالة النفسية المعبر عنها.
4. الاختلاف في حدة الالتزام المعبر عنه في التقديم وجهة الإنجاز.
5. اختلاف مقياس أوضاع المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.
6. الاختلاف في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع.
7. اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي.
8. اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي.

الخاتمة:

ومما سبق يمكن توصلنا إلى النتائج التالية :

- لا فائدة من دراسة اللغة دراسة شكلية بعيدة عن السياق الاجتماعي والثقافي، بل لا بد من اتحاد الاثنين.
- من أهم أهداف الدراسة التداولية: عدم الاعتماد على المعنى الحرفي لمعرفة مقاصد المتكلم.
- تقوم الدراسة التداولية على دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول. ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.
- تتطلب الدراسة التداولية النظر في مضمون كلام المتكلم، وفق اعتبارات مختلفة منها: هوية المخاطب، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب.
- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الأطراف، هي أهم ما تركز عليه التداولية.
- تعمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأدوات الإشارية التي تعد من المبهمات، التي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق المادي والاجتماعي.غير أنها تجعل اللغة تتجدد فيما تحيل إليه، فهي تشكل بنية أساسية في الخطاب. ومفهوم الزمن، ومفهوم القرب والبعد الذي تشير إليه.

- **الاحالات والهوامش**

[1]– بوقره، نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون(مجلة الرافد، يناير، 2006)، ص88.

[2]– أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش(الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986)، ص7.

[3]– إبراهيم، إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة(الإسكندرية، دار الوفاء، 1999).

[4]–الرويلي، ميجان وَ البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000)، ص 100.

[5] –نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(الإسكندرية، دار المعرفة، 2002) ، ص 52.

[6]–نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص9. وَ أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية،ص13.

[7]– الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004)، ص22.

[8]– أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية،ص8.

[9]– الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص22.

[10]– نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص6.

[11]–المرجع نفسه،ص6.

[12] –المرجع نفسه،ص14.

[13] بوقره نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني،ص83.

[14]–خطابي محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب(بيروت، المركز الثقافي،ط1، 1991)، 297.

[15] – السيد عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية(عمّان، دار الحامد، ط1، 2004)، ص 120.

[16] –نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

[17] –الشهري عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب،ص 24.

[18] –بلبع عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس(فصول،ربيع، عدد 66، 2005)، ص 41.

[19] –أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية،ص 41.

[20] –الشهري عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب،ص81.

[21] –دايك فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني(الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2000) ،ص 266.

[22] –نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22.

[23] –أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية،47.

[24] –نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،18.

[25] –المرجع نفسه،ص18 .

[26]–المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(الدار البيضاء، دار الثقافة)، ص144.

[27] –أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية ص45 .

[28] – المرجع نفسه،42.

[29] –نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص20 .

[30] –المرجع نفسه، ص22.

[31] –المرجع نفسه ، ص21 .

[32]–المرجع نفسه، ص22 .

[33]–الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص84 .

[34] –نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص24 .

[35]–المرجع نفسه، ص24.

[36]– المرجع نفسه ،ص 25.

[37] –أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية،ص 42.

[38] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

[39] –ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي (الرياض، جامعة الملك سعود، 1997) ص96.

[40] – المرجع نفسه، ص97 .

[41]– المرجع نفسه، ص214 .

[42]–مان، وَ فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى ص24.

[43]–نحلة محمود أحمد، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق،1999)، ص89.

[44] – المرجع نفسه، ص،220.

[45] –غربية، عبد الجبار، التعريف والتنكير في اللغة العربية(حوليات الجامعة التونسية، العدد24، 1985)، ص145.

[46] –ليش، جيفري وَ توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق)(الموسوعة اللغوية، تحرير:ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان(الرياض، جامعة الملك سعود، 2000) ، ص189.

[47]–المرجع نفسه، ص190.

[48] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33، و ليش، جيفري وَ توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق،ص 179.

[49]–نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

[50] –الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب ،ص 121 .

[51]–روبول، آن وَموشلار، جاك، التداولية اليوم، ترجمة:سيف الدين دغفوس وَ محمد الشيباني(بيروت، دار الطليعة،ط1، 2003)، ص55 .

[52] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص35.

[53] –المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي(الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1986) ص95.

[54] –روبول، آن وَموشلار، جاك، التداولية اليوم، ص61.

[55]–نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص38.

[56] – المرجع نفسه،ص38.

[57] – المرجع نفسه،ص 39.

[57] –المرجع نفسه ، ص39.

[58] –طالب، عثمان، البراغمتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية(الجامعة التونسية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، 1986)، ص131.

[59] –صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين(الرياض، مجلة الدراسات اللغوية، يوليو. سبتمبر، 2004) ص199.

[60] –أرمينكو، المقاربة التداولية ص61. و نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 44.

[61] –الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص75. مان، فولنجانج هانيه وَ فيهفجر، ديتر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004)ص55.

[62] –مان، وَ فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى، ص 55.

[63] –أرمينكو، المقاربة التداولية ص62.

[64] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص47.

[65] –المرجع نفسه، ص47.

[66] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 49. الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص158.

[67] –ليش،و توماس، اللغة والمعنى والسياق ص179.

[68] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص51.

[69] –الشهري، إستراتيجيات الخطاب، 117.

[70] –المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص94.

[71] –نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 51.